عاصفة حنين

خلود العلوي

اسم الكتاب: عاصفة حنين
بقلم/ خلود العلوي
طبعة أولى: ٢٠١٨م

التنسيق الداخلي: رفعت حسن سيد

تصميم الغلاف: م. وليد سري
دار العلوم للنشر والتوزيع

ص. ب: ٢٠٢ محمد فريد ١١٥١٨

هاتف: ٠١١٤٤٧٦٤٠٠٠/٠١٠٦١١٦٠٩٨٨

الموقع الإلكتروني: www. darelloloom. com
البريد الإلكتروني: daralaloom@hotmail. com
Facebook. com/darelloloom

Twiter: @darelloloom

جميع الحقوق محفوظة

رقم الإيداع: ١٩٥٧٧ / ٢٠١٧
الترقيم الدولي: ٣-٥٣٣-٣٨٠-٩٧٧-٩٧٨

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لاتعبر بالضرورة عن رأى **دار العلوم للنشر والتوزيع**

يمنع نسخ أو استعمال أى جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافى والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر

إهداء

[وبالوالدين إحسانًا]

قد أبحث عن بعض الأسطر؛ لأبث فيها كلمات شبه عاجزة عن كشف مايحمله صدري لما فيه القلب. . . لوالدين جعلاني ابنة تطمح في الوصول،

الأب الذي سعى كثيرًا؛ ليجعل كل من يعيش تحت جناحيه يشعر بالاحتماء والأمن. . .

أبي. . علمتني حب المسكين، والعطف على الفقير، والعفو عند المقدرة، والإحسان مقابل الإساءة. .

علمتني أن آيات القرآن هي دائمًا حصني الحصين، وأن الله هو مولاي، وسيدي، وولي نعمتي. .

أمي. . . نبض الحياة التي طالما سعت لتكون الحضن الذي نركض عليه عندما تكشف لنا الدنيا عن مخالبها،

عندما أتكلم عن الحنان فلا أجد سـواها . . . وإذا ماتكلمـت عن التضحية فلا أجد سواها ،

جُلَّ ماأتمناه من الله أن أهبكم من عمري مزيد العمـر حتـى لا أبكي غيابكم في يوم ،

أسأل الله أن يجعلني ابنة صالحة بارَّة بكما

*****

مقدمة

عندما نقع في الحب نُدرك حينها معنى الحنين الذي يجتاحنا عندما نفقد من نحب . . .

هذا الحنين يبدو كعاصفة تُدمر كل مايقف أمامها وأولها كبرياؤنا

وفي حال أردنا تحجيم هذا الحنين يحدث العكس وهو من يُحجمنا ويُسيِّرنا حسب مشهاته ورغباته

ربما يكون الحنين مؤلمًا حتى أنك لا تستطيع البوح به وأن تمكنت من البوح تجد سيلاً من الدموع تنهمر في سبيل الوصف، حينها فقط نُدرك أنها عاصفة الحنين . . . . .

*****

لعنة!!

في واقع الأمر، وفي بداية أسطري، لا أعلم ماذا أكتب حقيقةً عن ألم الشوق والحنين، ولا ألبث أن ابتسم حتى يؤلمني قلبي ذاك الألم الذي يعتصر أحشائي، ولا أستطيع البوح به. . .

هو أشبه بالسر لا أستطيع الإفصاح عنه، أشبه بشيء أن بُحت به فُصحت وأن كتمته حُرِقت. . .

لا أعلم هل كنتَ تناديني ليصحو هذا الحنين الساكن بي؟؟

أم أنك تقوم ثلثي الليل لتدعو الله أن لا ينتزعك من أعماقي؟؟

أيهما أنتَ؟؟

أيُعقل أن تكون الاثنين معًا؟؟

أعلم أن الدعاء هو السِّحر الحلال، ثم يأتي بعد ذلك النداء المستمر، لأركض إليك دون وعي. . .

حتمًا هو كذلك . . فحينما أغفل وأبتسم أتذكركَ . . .

وعندما أنام أراك حُلمًا . .

وعندما أسمع أغنية تخطر في ذهني كإعصار يجتاحني بعيدًا عن الكل . . .

لاشك لدي بأنك الآن في أتم الاستقرار على حين أنا في نفس النقطة التي توقفنا عندها أنذاك . . .

هل تشعر بي؟؟

هل يجتاحك ذلك الحنين القاتل؟؟

كثرت أسئلتي، ولا جواب لدي يُغلق هذا الباب سوى يقيني التام بأنك لاتزال هنا بين ضلعين . . . وأن ما أشعر به من شوق ما هو إلا . . .

لعنة!!!

*****

صدفة..

ها أنذا عُدتُ إليكم سادتي لأبوح لكم ماقد تفعله عاصفة الحنين!!!

قد تمر الأيام، وتتلوها السنون، وقد أغفل عنكَ، وربما أتمنى أن احظى بنسيانكَ. . .

ولكن عادةً لاتسير الرياح بما تشتهي السُفن. . .

فلا أغفل عنكَ. . ولا أحظى بنسيانكَ

وربما أدعو الله أن أكون شيئًا ما في قلبكَ. . أو ذاكرتكَ. . أو في ركن ما في حياتكَ في أي زمان أو مكان. . .

وما حدث في يوم من الأيام هو خارج عن إرادتي وتنظيمي وحتى أمنياتي. .

حدث وأن داهمتُ ذاكرتي وهربتُ منكَ مجددًا وما أن خرجتُ من هذا الخيال حتى وجدتكَ أمامي في إحدى الليالي. . . .

كان شيئًا حمدتُ الله كثيرًا على حدوثه . .

فعاد النبض لي من جديد، ما هو إلا حياة أعيشها من جديد لأكتشف أن قلبي مازال حيًّايُرزق . . .

بعد تلكَ الصدفة أصبحتُ شاردة تمامًا وكأن جميع من حولي أموات، لا أسمع سوى صوت النبض يعلو أُذناي، ويجتاح صدري كجيش احتل دولة بأكملها . .

كما الحلم أو الخيال تسبح في ذاكرتي فتتوقف الدنيا حينها بأعوامٍ مضت كدت أُجزم أني نسيتُها، ولكن هيهاتَ هيهاتَ للنسيان أن يحتل مكانتكَ بصدري . . .

في تلك الليلة، وفي ذلك الحين لم أستطع النظرمطوَّلاً بالرغم من اشتياقي القاتل إليكَ . .

في يقيني أنك تعلم ما أُخفيه لكَ، يكاد يفقدني اتزاني وكرامتي أيضًا . . .

فلا حيلة لي سوى الهروب بنظري بعيدًا عنكَ

تمنيتُ للحظة أن أسهو فيكَ كما قبل . . أن أُبحر بنظري فيكَ وأن تتحدث ويربكني خجلي ، ما أن سألتني عن محور حديثكَ فقد كنتُ غارقة في نبرة صوتكَ . .

أيُعقل أن تكون حلِي وتَرحالي لسنوات عدة؟؟

على حين أنا لم أكن حتى في يوم من أيام حياتك؟؟

وفي الحقيقة أنا لا أستطيع الغضب منكَ في القلوب دائمًا هي من تسيّرنا وهي من تختار لنا . .

اما نحن فنقف عاجزين أمام ذلكَ القلب الصغير ، ولا نستطيع رد قرار يتخذه بشأننا ؛ لهذا السبب كنتُ ومازلتُ دائمًا أجد لكَ العذر . .

يحدثني قلبي عنكَ فأُصمته . . .

ولكن سؤالي يتلخص في كلمتين . . . إلى متى . ؟؟؟

إلى متى ستظل عالقًا هنا بين أضلعي؟؟

إن كنتَ تعلم أنكَ تبيتُ دائمًا في قلبي فارحم ضعفه . .

وإن كنتَ لاتعلم سري فأدعو الله أن يستره عنكَ طالما أتنفس . .

وما كان بيدي دائمًا سوى أن أستودعك الله ، وتضمكَ دعواتي في كل حين لا أستطيع الوصول إليكَ . .

استودعتك يـاالله نفسًا أُحبها فاحفظها وأنتَ خيرُ الحافظين . . . .

*****

شعور غريب

ينتابني شعورٌ غريب ربما يمكنني التعبير عنه، ولكن لا أستطيع وصفه . .

متناقضة فيما أشعر، وفيما أُعبر، وفيما أوصف . . .

شعوري بالغربة بالرغم من أن الجميع حولي يُوهن قلبي وكأنني في جزيرة نائية لا يُوجد بها غيري . .

أذلك هو الحنين للماضي وأشخاصه؟

ربما!!

*****

مصافحة مودع

بالرغم من مرور السنين إلاّ أن الأحلام تتوالى على تذكرني برحيله، وعدم أنقطاع ذكرياته . .

لا أجد لنفسي مهربًا ولا مخرجًا وكأني سجينة الراحلين . .

أُريد إطلاق سراحي، ولا أستطيع الوصول إليه ليعتقني . .

كانت مجرد أحلام إلاّ أنني استيقظتُ بشعور متناقض مابين الغضب والرضا . . والسعادة والتعاسة . . والابتسامة والدموع . . .

ليته عرف الكم الهائل من هذا الشعور له لمّا تركني عندما طلبتُ رحيلَه . .

عندما راودني ذلكَ الحلمُ لم أستطع حتى محادثكَ ولكني صافحتُ يدكَ مصافحة شخص موّدع . .

الغريب في حلمي وواقعي أنني لا أستطيع البكاء بالرغم من رغبتي الشديدة لذلكَ، ربما أشعر بارتياح حينها، وإسقاط شيء من صدري أوهنني بما فيه الكفاية . .

أنا غير قادرة على العبور من جسرك، ولا حتى الاقتراب من عالمك، ولا حتى رؤية صورة لكَ أحفظها دائمًا دون النظر إليها . .

انقطعتْ كل السُبل لكي لا أصل إليكَ، ولكنكَ تصلني حيثما كنتَ وأينما كنتَ . .

تصلني في اليقظة، ، ، وتصلني في الحلم، ،

تصلني عندما أقترب من شخص لأبدأ ماأنهيتَه أنت . . فتنقطع بي كل الطرق لإكمال أي علاقة كانت، والآن سؤالي الذي أحمله لك منذ سنين . . . .

هل ستظل ترافقني في حِلي وتَرحالي كظلٍ لا أستطيع الفرار منه مهما كبرتُ وأينما اتجهتُ؟؟؟

أطلب منكَ باسم ماكان بيننا أيًا كان أن تُطلق سراحي لأُمارس طقوس حريتي التي تخولني من الخوض في علاقة تنفض غبار ذكرياتكَ. . .

*****

طيفك وذاكرتي!!

مرّت الأيام . . عام تلو العام

كل شيء تغيّر من حولي

مضتْ أيامي في غيابكَ كالقهوة الدكناء السوداء لذيذة رغم مرارتها . .

مالم أستوعبه هو الكم الهائل من المرات التي يزورني فيها طيفكَ في منامي وصحوتي . . وكأن ذاكرتي محفور بها وجهكَ . .

حَدُّ الألم اشتاقكَ . . .

وحَدُّ الشوق اكتساني الصمت . .

لم تعد حروفي حروفًا أُبعثر بها مابصدري

عجز لساني . . ماتت لغتي . . شُلّت ذاكرتي إلاّ عنكَ . .

ألم يكن لي شيء يستحق التذكر بالنسبة لكَ . . . ؟؟

أما أنا . ؟

فلا شيء عندي يستحق التذكر سواك

غضبك . . هدوؤكَ . . ابتسامتكَ . . غيرتكَ . . حتى دموعكَ

بالرغم من أنها كانت تؤلمني فإنني أشتقتها جداً

كل التفاصيل مجرد تفاصيل . .

كم رأيتُ من الوجوه؟

كم سافرتُ بعيداً؟

كم هربتُ من إعصار ثار بي وأهلكني؟

بحثتُ في أرض الله ولم أجد سواكَ . .

أم أن الله خلقكَ دون الخلقِ ودون أي شبيه ؟

يقولون أرض الله واسعة، ولكنها ضاقت بي حتى شعرتُ أنني أتصعد في السماء . .

وما ألبث إلا أن يكون كابوسًا لمجرد أنني قررت أن انخطاكَ . .

أدعوتُ الله عندما أحببتني أن يزرعكَ بداخلي ولا أستطيع أنتشالكَ من أعماقي . .

وجميع الخلق رددتْ آمين . . بلا شك . .

لم يعد بإمكاني الصمود، ولا المُضي قدمًا

ولكني خطوت خطاكَ في مناجاة الله حيث دعوتُه سرًا أن ينتزعكَ من أعماقي، وكأنك عابر كشخص لم يكن . . . .

لم أتعجل بالإجابة قط . . فأنا على يقين أن الله له قدرٌ معلوم يحين وقتما يشاء . .

تسألني . . . أما سئمتِ الانتظار؟؟؟

بلى والله سئمتُ ويئس اليأس مني، ولكني لا أجد طريقًا آخرَ سوى الانتظار . .

أما حان الوقتُ لتعلمني كيف تسير حنينًا واشتياقًا؟؟

كتبتكَ كثيرًا . . . بكيتكَ كثيرًا . . . حتى أنني صرختُ كثيرًا لتسمعني، ولكن كان حولكَ الصخب المُزدحم، حيث لاتراني، ولا تسمعني . . .

سألتكَ بالله أعتقْ ماتبقى مني . .

لأتنفس . . لأشعر . . لا لأحب . . . .

*****

فوات الاوان

بعد غياب طويل، وأنتهاء ماكان من مشاعرَ، لا حصر لها ولا عد!!

عاد الحنين يطرق أبواب ذلكَ القلب متسائلاً كعادته.. هل باغتتْ ذكراي صفحاتِ ذاكرتكَ؟؟

حتى تأتي الأيام بجواب قطعي... إنني كفيلة بأن أمحيكَ من ذاكرة ذلكَ الحبيب، واستبدالكَ بصفحات مملوءة بأسطر العشق الجديد...

كدت أُجزم ذلكَ الوقت، أن الحنين لا يعرف طرقاتِ أحد غيري.. وأن جميع الوجوه التي تعبرني ماهي إلاّ وجهه...

هربتُ كثيراً من المرايات والوجوه والذكريات، وجميع ماكان حولي، حتى وجهي الذي أصبح مرآة تعكس ملامحكَ...

ماذا عنكَ؟؟ ومِنْ ماذا هربتَ ياتُرى؟؟

أسفًا على ماعرفتُ أني عشقتُ إلا بعد ذهابكَ..

وتلكَ أيضًا كانتْ كذبة من كذباتي التي جعلت منهـا مرهمًـا يداوي جرحًا داميًا . .

وفي واقع الأمر أني اكتشفت ملامح العشق التي اعترتـني منـذ أول يوم رأيتكَ فيه . .

بدأ العشق يُغيّر ملامحي الأصلية، وحتى صفاتي . .

وكأي إنسان عاش طوال حياته بنمط معيّن وصـفات لاتتغيّـر استنكرتُ كل ماهو جديد عليّ

أصبحتُ وأمسيتُ في تيار أسئلة بلا أجوبة وبلا أنتهاء . . .

عذرًا . . .

فقد كان جوابي الدائم . . . إنه العشق . .

*****

اختيار خاطئ

في كل مرة أصادف بها أناسًا يجيدون عشقي بالطريقة الصحيحة إلاّ أنها للشخص الخطأ . .

أهي دائرة مغلقة؟؟

أم أنني حقيقةً لا أُبصر؟؟ ولا أعي مايدور حولي؟؟

ألا أجدُ من يجاوب على كثرة أسئلتي؟ .

أما من أحدٍ يُخمد كثرة استفهاماتي؟

أم أنني أخاف أجوبة قد تواجهني بنفسي، وبحقيقة ماأعيشه؟؟

فأكثر ما أخشاه أن تكون كل الأجوبة هي جواب واحد . . .

ألا وهو أنني لا أريد أن أرى سواكَ . .

وانتهى . . . . . .

*****

المرة الأولى

أستميحكم عذرًا . .

قد لا أجيد الوصف أو الشرح أو التعبير . .

وقد لا أجيد الكتابة أيضًا

فما أشعر به أكبر بكثير من أن يُحكى في سطور . .

هو ذاكَ القلب الذي عاد ينبض من جديد، وبعد عدة سنين كما كان سابقًا . .

المرة الأولى من الصوت . .

المرة الأولى من الضحكات . .

المرة الأولى من ابتسامة الثمالة . .

المرة الأولى من النبض . . .

المرة الأولى من كل شي تكررت بذهول عجيب . . كما هو الشخص الأول في كل مرة!!!

ذلكَ الشخص الـذي يـنجح دائمًـا حتـى في خيـالاتي برسـم ابتسامة العشق وإن كان كَذِبًا . .

ابتعدتُ عنه كثيرًا وكثيرًا، ولكـن طريـق عـودتي مكتـوبٌ في قدري . .

مكتوب أن أعود، وفي كل كرة أشعر أنها المرة الأولى . .

أيا له من قدر لا أستطيع سوى شكر الله عليه . . واسـتعجابي من الأمر غالبًا قد يكون أشبه بعلامة استفهام كبيرة جدًا!

كيف لشخص بعد كل تلك السنين أن يكون الأولَ دائمًا؟؟

وكيف لهذا القلب أن يعشقه؟ وكأن العشق بعده قـد مـات أو أنتحر؟؟

وكيف أبدو مع غيره بلا قلب، ولا مشاعرَ حتى كدتُ أُجـزم أنني لا أُجيد الحب، وأن كل ماأفعله هـو تعـذيب لكـل مَـنْ يحبني، وأنتهاكُ أحاسيسه وقتلها بلا رحمة . .

استفهامي يكمن في شخصي ربما!!!

كيف أكون شخصين : ذا شخص أو شخصًا ذا شخصين . . ؟

ازدواجي الشخصية بشكل ملحوظ . . .

ربما العشق معه . .

وربما الإنسان مع غيره . .

ماعساي أن أقول؟

وماعساي أن أفعل؟

فأنا معه حقًا ، أشعر بنفسي تلكَ الفتاة ذات القلب المُحب العاشق المُتيم الثمل الذي يهيم عشقًا مجرد خروج حرف منه . . .

ومع غيره تلكَ الفتاة الصُّلبة التي تُجيد المجاملة دائمًا ، ولكن بلا إحساس داخلي . .

تُجيد ابتسامة ليست من الأعماق ، تندرج تحت قائمة مجاملة المجتمع من حولها . .

وبالرغم من ذلك فكثيرٌ هم عشاقي، مما يثير شفقتي على ذلك القلب. . أما ينبض لواحدٍ منهم؟؟

أما حاولتُ؟؟

بلى سادتي. . حاولت مراراً وتكراراً حتى وقعتُ في أخطاء لا حصر لها ولا عَد. .

*****

من يختار!؟

وها أنذا عدتُ من جديد لأول سطر من قصتي، ولكل من يهوى أقداره . . . أهلاً بكَ في قدرٍ لاتستطيع إلا أن تحبه . . .

تُرى من يختار أن يكون عاشقًا؟ ومن يختار أن يكون المعشوق؟؟

العشق يختارنا أم نحن من يختار دائمًا؟

أيختلف العشق من شخص لآخر؟ أم هو واحد منسوخ في كل القلوب؟

كم عاشقٌ بات على وسادة الدموع . . . ! وكم من آخرَ بات على ضحكات الخيانة!

رأيتُ اختلافًا بين هذا وذاكَ . . .

وكل مارأيتَ عجبًا كان يسمى العشق . . . .

اخترتني أنت بين جموع الناس، لأعيشكَ عشقًا، يكبر ولا يموت بالرغم من أن نهاية الحياة هي الموت . .

اخترتُ أن أموتَ فيكَ بدلاً أن أحيا مع غيركَ . . .

وعاد السؤال من جديد . . . .

من أختار ؟؟

ومن قرر؟؟

مستحيلٌ لقلب أن يختار حياة لا نور فيها، ومع ذلكَ اختاركَ قلبي، وعشتُ في الظلام الدامس وحدي

في كل مطلع فجر أرتجي شعاع الشمس

وفي كل مرة أعود خاليةَ الكفين . . .

فلا أرى شعاع الشمس . . . ولا أشعر لقلبي نبض . . .

كذبًا حاولتُ . . . وبكل ماتحمل الأنثى من كبرياء كابرتُ . . .

وفي نهاية المطاف وجدتُ نفسي في أول الطريـق الـذي يُـؤدي إليكَ. . .

أما قررتُ الرجوع؟؟

قررتُ في حضرة العشق الرجوع من حيث اتيتُ إلاّ أن طريـق العودة مُلغم بأشواكٍ تُدمي قدماي

أيا ضعف إنسان مُخيّر بين أشواكٍ وبين كبرياء على وشـك أن يتحطم. .

البحر أمامكَ والعدو من خلف. .

هذا هو وضعي معكَ ايّها العشق

فلا خيار لـديّ سـوى الاستسـلام والمُضـي قـدمًا في عشـق لا أدري مَنْ منا اختار أن يكون. . . .

*****

ذاكرة ترفض الرضوخ

ياذاكرةً ترفض الخضوع لقوانيني

ياذاكرةً لم تكن معي وقت حاجتي

ياذاكرةً لا تُفلح إلا في تذكر أبسط وأدق تفاصيل الراحلين

هي ذاكرة الراحلين فعلاً . . لا تنتمي إليّ

مزدحمة بتفاصيل لاتسعني ، وكلما حاولتُ الهروب سلسلتني بقضبان من حديد

تفرض عليّ أن أعيش بها مع راحلين ، بالرغم من أنهم رحلوا

ماعساي أن أفعل مع بقايا ناس لم يتركوا لي مساحة للعيش خارج هذه الذاكرة؟ !

أهو استيطان؟؟؟

أم غزو؟؟

نُفيتُ واستوطنوا ذاكرتي

ذلكَ الوطن الذي لم ينجح أن ينفيهم كما نفاني

*****

لي اللّه

لي الله قبل رحيلكَ وبعد رحيلكَ . . . .

لي الله حينما أُغلقتُ الأبواب حينها

لي الله عندما تبرأ قلبي مني ورحل معكَ

لي الله في تلك الساعة التي ناجيته فيها عن حرقة حنين، القلب حتى ذاب وأنصهر . . . ونَبَّح صوتي بعد نداءاتي التي لم تكن مسموعة في الأبواب بيني وبينكَ كانت موصودة،

معي ربي حينما بحثتُ عن طريق نجاة أسلكه حتى أصل . . . .

معيّة الله لازمتني . . . فلا أنهرتُ . . . ولا ضعتُ . . . ولا أنكسرتُ . . . ولا ضللتُ الطريق

ولكني بكل أسف تألمت . . . .

تألمت في كل مرة أشهق أنفاسي وأزفرها عواصف حنين . . .

الألم الذي يكون أشبه بنزع الظفر عن اللحم كانت أنفاسي كذلكَ!

فالحنين كان ذاكَ الوقت يُقتلع من روحي ووسط أضلعي

يغادرني تارة. . . . ويتعريني تارةً أخرى

تبًّا لحنين جعل من جوف صدري حطام مدينة جميع سكانها شخص واحد هدمها، وغادر بهدوء. . . .

*****

آله الزمن

وتوقف الشعور كأنما آلة الزمن توقفتْ على تلكَ اللحظة التي انتهتْ مع كثير من الحزن والألم، وأنهت حتى ماتبقى من الشعور . . .

انخرطتُ كثيراً في أعباء الحياة بحثًا عن أي شيء قد ينحح ويجعلني أتخطاكَ . .

كتجرِبة من أي التجارِب . . .

إلاّ أن أبحاثي على هذه التجربة أخذت من عمري عمراً حتى أستطيع أن أثبت أنكَ ماضٍ . . .

لا أحب كلمة العجز على حين أجدها التعبير الوحيد في وصف نسياني لكَ . . .

طرقتُ أبواب النسيانِ . . .

فتحتُ نوافذَ العشاقِ . . .

اختبأتُ وراء الأقنعة . . .

فأُغلقتُ أبواب النسيان . . . وتوصدتْ النوافذ . . .
وسقطت الأقنعة . . .

في كل مرة اتجه نحوكَ راكضةً محملة بالأشواق منتقية أجمل وألطف العبارات التي قد تُعبر عن العشق الذي مازال ينهشني . . .

وفي كل مرة أعود بمنتهى التناقض بين هذا العشق الذي ينهشني ويسلب مني الحياة . . . وبين عمري الذي يزداد مع الأيام . . .

أما تجده تناقضًا أن يتآكل مابداخلكَ بينما ينمو خارجكَ؟؟؟

وبينما أبحث عن جواب لهذا السؤال . . . وجدت نفسي وسط بحيرة . . .

الداخل فيها مفقود . . والخارج منها مولود . . .

وهذا هو حـال قلـبي . . . دخـل محيطـكَ فانفقـد . . . وحتـى أخرج يجب أن أولد من جديد . . .

*****

ثوران العاصفة

على الرغم من جميع محاولاتي للصمود أمام جموع التيارات التي تواجهني إلاّ أني أشعر أن وقوعي وأنهزامي ماهو إلا مسألة وقت . . .

بعض الأحيان لاتُجدي نفعًا العديد من المحاولات . .

وبعض الأحيان لا تجد من يساعدكَ على الصمود حتى نفسكَ . .

مؤمنة تمام الإيمان أن لكل إنسان طاقة تحمل تنفد مع الوقت إذا ماتحولت إلى بالون امتلأ بثاني أكسيد الكربون حتى وصل لحد الانفجار . . . . وانفجر

أما أنا فكنتُ أتساءل كيف لا نفجاري الانفجار ياتُرى؟؟

أهناكَ احتمال أن أكون قد امتلأتُ إلى هذا الحد؟؟؟

الشيء الوحيد الذي أدركه أن جميع الحبال التي سبق أن تعلقت بها قد ذابت . . إلا حبل تعلقي بالله

ازداد صلابة وعقيدة وإيمانًا حتى بدأتُ أواجه كـل مـاحولي، إنه شيء وأنكتب في صحيفة قدري، وعليّ مواجهته بالتقبول لا بالرفض. . .

وأولها قدر عاصفة الحنين التي كلما ثارت جرفتني إلى حيـث لا أعلم . . . . .

*****

حلم

في يوم الحظ العالمي لقلبي حدث وأن حلمتُ بكَ . . .

بعد ماكان الوصول إليكَ في الحقيقة بعيداً جداً وصعباً أكثر مما أتوقع . . . فما كان من الحُلم إلا أن يسعف النبض الحائر المليء بالحنين . . .

لم يشبعني ولكنه أنقذ بعض أمنياتي لرؤيتكَ . .

في ثوانٍ معدودة أنتهى ،

وفي أيامٍ وساعات بِتُ أكرر ماحدث في تلك الثواني لأجد تلك الابتسامة الضائعة التي سَرعان ما أجدها عندما تداهم ذاكرتي ،

وبعد الكثير من المحاولات التي تمنيت بها أن أحتفظ بتفاصيل الحُلم الصغيرة إلا أن ذاكرتي لم تسعفني كثيراً لكونه مجرد حُلم . . . فكان جُل ماأتمناه أن أستنجد بملامحكَ أنذاكَ لكي لا تذهب . .

عبثًا حاولتُ فذهابكُ مع الحُلم كان أسرع من الحقيقة . . .

وبعد ماتأملتُ أن يكون الحُلم أملاً لي . . ماكان إلا ألماً تجرعته حتى شبعتُ . .

ألمُ ذهابكَ أوجعني بقدر أمل لقائي بكَ في ذلكَ الحُلم . .

*****

لست لي

وصلتُ أخيراً نهاية المطاف . . .

اقتنعتُ تمامًا أنكَ لستَ لي ولن تكون . . .

يتوجب عليّ أن أكـون سـعيدة بكتابـة النهايـة وإن لم تكـن اختياري . . .

نهاية العاصفة . . وبداية السكون،

طالتْ عاصفتي وتبعثرتْ أضلعي . .

وطال الزمن حتى وصلتُ إلى النهاية . .

عذراً أنا لا أكتب بحبر القلم حتى يصلكَ إحساسي

كنتُ أكتُب بدمع القلب وفوضى الأضلع .

*****

زراعة شعور

بعد العديد من عواصف الحنين والمد والجزر وكل الصراعات الداخلية . . . حاولت أن أضع بداخلكَ بذرة على أمل أن تُنبتَ، ويُزرع ذلك الشعورُ من جديد . . .

سمعتُ مقولة من زرع حصد . لهذا قررت الخوض في تجربة الزراعة،

وبلا شك هي تجربة فريدة من نوعها . . .

فأي شعور يمكن أن يُزرع . . ؟؟؟

أعلم أنه شيء حسي غير ملموس، ولكنها محاولة لإحياء روح بداخلي ترفض التصديق أنك ماضٍ . . .

ألم يزرعوا قلبًا وأعادوا فيه الحياة بعد قضاء الله؟؟

ها أنذا أخطو خطاهم، وأسير على نهجهم، لإعادة الحياة لأضلعي . . .

كانتْ البذرة صغيرة مغلفة بمشاعر أكبر من أن تُحكى . . . معاني لم أستطع حتى تفسيرها . . . وضعتها بداخلك لأحصد غداً وجودكَ معي . .

لم أستطع النجاح على الأغلب . . .

حقل تجاربي كان فارغًا

وماكنتُ أسعى إليه كان طريقي للهلاكِ

في كل مرةٍ أصلِ إليكَ وبدون قصد كنت أرفعكَ حد السماء، والسبب هو كلمة (أحبكَ)

وفي كل مرة تصل إليّ وبدون قصد تخسف بي أبعد أرضٍ، والسبب هو كلمة (لا أبالي)

بِتُ في حيرة . . . متى أُجني حصادي؟؟

أم أن الأرض التي زرعُت بها غير صالحة للزراعة؟!

أسئلتي عبارة عنَ مـدٍّ وَجْـزرٍ، واسـتعجال للحصـول علـى نتيجة تجربة ربمـا تكـون فاشـلة إلا أنهـا تسـاعدني في إخمـاد عاصفة الحنين. . . .

*****

قلمي

تجرعتُ ألمًا أنتهكَ أضلعي، وبكل ما أُوتيتُ من قوة تبدلتَ إلى وهنٍ وضعفٍ وعجزٍ . .

فلا استطعت الدفاع عن كل ضلع أنكسر من قوة ذلكَ الألم،

ولا استطعت المكابرة والصمود . . .

ركضتُ إلى قلمي، أبحث عن طريقة أبوح بها بعد أن توصدتْ كل الطرق للحديث عنه . فصوتي كان مبحوحًا بما فيه الكفاية، ولا يصل الصوت كما لو كنت في منطقة بعيدة نائية، كل ما أراه السراب فقط،

لا أنكر صداقة قلمي ومساندته لي، في كل ضلع ينكسر كان هو البديل حتى أستطيع الصمود والمُضي قدمًا،

صديقي الذي بحتُ له بأسرار كادت في يوم أن تندفن معي . . . إذا صعدتْ أمانة الرحمن،

ومجمل الأسرار كانت عن هذا القلب . . .

وما بداخل هذا القلب لايسعني التعبير عنه، فهو أكبر من أصفه بكلمات منمقة، وجمل مترابطة، وتصويرات خيالية حتى أستطيع رسمه لكم . . .

سيبقى سر هذا القلب حتى وقوف النبض

وإشعار آخر.... .

*****

عادة الزمن

هي عادة من عادات الزمن أن يمر كالبرق عندما نسعد . . . .

وعادة من عاداته أن يكون بيطئ سلحفاة لاتتعدى خطوتين عندما ننتظر ونشتاق . . .

أمَا كان الزمن عضيدي في يوم من الأيام، وما كنتُ أدرك؟؟؟

أو أنه أصبح خصمي الآن، وقد أدركتُ للتوّ؟؟

كان عضيدي عندما كنتَ معي

وأصبح خصمي حينما ذهبتَ . . .

أبحث عن عصا أتوكأ عليها لأشد عضدي بها وأواجهه

أجلس في منتصف كل طريق طالبة النجاة والمساعدة . . .

لم أصل إلى النهاية بعدُ . . .

طريقي طويل،

وبحثي عنكَ أطول،

وكم أجناس أشاهد حتى أرى ملامحكَ . .

كم تخبطتُ بوجه أشبه بوجه صاحب وحبيب . . .

لم أجدكَ . . .

ولم أكفَّ عن البحث . . .

ابتسامتي في أشباه ملامحكَ كانتْ طوق نـجاتي دائمًا

أما سبب هذه الابتسـامة فكانـت لملامـح تكـاد تشـبه بعـض أوصـافكَ ولا تشـبهها . يبحـر خيـالي بهـم حتـى ابتسـم فقط . . .

لم يكن الأمر بتلك الصعوبة لمجرد أن أتخيلك، ولكنـه كـان مؤلمًا حد الوخز عندما أستيقظ وأرى الوجوه الحقيقية . . .

أحلام اليقظة ربما . . . تبقيني على قيد الحياة ولو ثوانٍ . . . .

*****

نهاية الطريق

وصلتُ نهاية الطريق بعد زمن طويل حتى صدقتُ أن الحياة تمضي بلا توقف،

لا يتوقف إلا قدمك عندما تنتظر وتنتظر وتنتظر على أمل الغد، ويذهب الغد وما تخطت قدمكَ تلكَ النقطة. . . . نقطة التقائي معكَ

تأبى المُضي. . . . وأأبى التصديق. . .

أما حان الوقتُ لأصدق كل الأحاديث والأقاويل والحِكم والمواعظَ والأمثال؟؟

كذبًا قالوا. . .

وأنت صدقتَ

وكما أصدق الأحلام أصدق وجودكَ. . .

وكلما حلمتُ. . . كلما حييتَ بداخلي. . .

شمعة تضيئ ولا أتمنى أن تنطفئ

وإذا كان للحياة نهاية وأنتهاء وحال دائم . . . فسأعلن أنتهاء مشاعري وأعلن حدادي ،

حين تنتهي بداخلي وتطلق سراحي . . . وأعلن حريتي

حينها سأعود بزمني للوراء حتى التقيكَ مجدداً .

أختاركَ مجدداً . . .

أحطُم القيود وأجتاح أضلعكَ

أبني منزلاً صغيراً داخل جدران قلبكَ

وحينما يقع عليّ الاختيار أمامكَ سأكونُ مَسَّيرة غير مخيرة ،

ومايجذبني حدود عالمكَ هو ذلك النبض الضعيف الذي يعاصر حِلكَ وارتاحلكَ

أبقى مكاني بلا قلب ،

وتبقى هناك بقلبين

أحدمها كان لي

ولم يعد. . . . . .

*****

فصل الخريف

في كل مرة أشتاق لكَ أعود خالية الكفين من ألم أنك اعتدت على غيابي. . .

يمزقني الألم بينما أحاول جاهدةً استعادتكَ بكل الطرق. . .

تتركني في منتصف الطريق. . . تختبر صبري. .

أخالف قلبي وعقلي بينما أنت لاتخالف لامبالاتك بوجودي واهتمامي بأدق التفاصيل،

غضبي ماكان عليكَ. . . غضبي على قلبي الذي يرفض بشدة أن يتخطاكَ،

تتخطاني الأسطر والأيام والشهور، وحتى السنين ولا أتخطاكَ. . .

أما أعرف كيف أحب؟؟

أم أن حبي لكَ دخل حدود الهوس، وقوانين العشق أصبحت دستوراً يضرب بالسيف من يخالفه؟؟

ربما تكون قوانين عشقي وأنجرافي في نهركَ ذنبًا لا أقوى على استغفاره، ولا كان بحدود قوتي أن أتراجع عنه. . .

أصبحتُ كورقة في فصل الخريف سقطتْ سقوطًا مزقها في وقت ارتفاع،

حد التمني أني وجدتكَ بعد غياب استباح عافيتي. . . عندها سقوطي المنى حد الموت حتى أني أتذكر ذلكَ اليوم تمزقت حتى بات قلبي يؤلمني وكأنه يعتصرني وأعاني سكرات موت،

لا أذكرُ كيف نِمتُ ذلكَ الحين

ولا أذكرُ بماذا حلمتُ،

أذكر فقط أني استيقظتُ على أمنية أن يكون سقوطي كابوسًا وألمي وهمًا

وإنكَ مازلتَ هنا معي تبحث عني كما كنتَ تفعلُ

*****

حُجرة خالية

لا أحد هنا في هـذه الحُجـرة يسـمع النـبض سـوى شـخص مكتوف الأيدي أبكم أصم،

بدت تلك الحُجرة مظلمة للحد الذي يجعلـك لاتـرى سـوى ضخ دم، ولا تسمع سوى نبض. . .

كان حُلْمًا أن يكون أي شخص في هذا المكان الأشبه بالمعجرة بل هو معجزة. . .

ماكان يُسمى النبض كان ألمـًا ممزوجًـا بمـرارة الحيـاة، وهـم أناسٌ أحببانهم حتى أخمدوا هذا النبض فينا. . .

بقايا شوق أطفأه الدم. . .

أمّا الحنين فقد بات يتنقل من ضلع إلى ضلع حتى أحرقها،

بات هذا الشخص يشاهد تحطم القلب بـبطء كسـقوط بنيـان أنهار في هزة أرضية بمقدار (٤) رختر

وقف مكتوف الأيدي فلم يستطع وقف النزف ولا جبر الكسر،

كم تمنى أن يكون لسانًا لذلك القلب، ليبوح بدلاً من السقوط بذلكَ الشكل المحزن. . .

ماأحزنه في الأمر أن كمية الدم بدأت تقل،

وصوت النبض بدأ ينخفض ويقل تدريجيًا حتى اختفى دون أن يُصدر حرف. . . . . .

وخرج هذا الإنسان من تلك الحُجرة تكسوه الأسئلة ويكسوه الخوف والحزن والألم،

وماذا كان يحمل ذلك القلب من حزن حتى فارق الحياة بهذا الشكل المُرعب سوى الحنين؟؟؟

نستجيرك يالله من ألم يوخز قلبنا حد الموت، ولانستطيع البوح به،

*****

وطن مسروق

بعد ما وجدت موطنًا أسكن فيه . . . .

عندما وجدته . . . سكنتْ روحي بسلام وأيقنت أن جروحي أندثرت، وأنه موطني وأماني واحتوائي . .

فقد عرف هويتي واستقبلني بأمان أوطان الأرض . .

ولم ألبث فيه طويلاً حتى شعرتُ بأنه زرع بي سكينًا باردًا دون أن يشعر . . .

كسياسة أي بلد لم يفكر إلا في استقرار أمنه . . .

ولم أفكر قط أن تكون له سياسة كباقي البلدان . . .

فكرت أن أهرب منه . . ولكن إلى أين . . . .

فكل بقاع الأرض لم تعد تسعني مع أني لا أتعدى أن أكون فردًا . . .

إلا أن جروحي أفراد . . .

ولم أُجبر أيضًا على البقاء . . . فلا خيار لديّ، ولا مجال للهروب لمجرد جرح أحدث ثقبًا في باطن القلب،

ولكني مجبرة على النسيان حتى أستطيع المُضي قدمًا واستكمال طريقي ورحلتي . . .

كم سيلبث هذا النزيف، وهذا الألم حتى يقف؟؟

وكم سألبث حتى أنسى . .

في حكم دوران الأرض وفي أقل من ساعة،

كانت أجمل لحظات حياتي في أتعس مراحل حياتي، عُكست لتصبح أوجع لحظة واجهتها . . وأصعب كسر في ضلع من أضلعي أوقعني أرضًا، ولكني رفضت الوقوع والخضوع بقيتُ واقفةً متألمة،

أنا طرف في هذا الوجع، وهذا مؤكد . .

فأنا من سمحتُ لنفسي بالتمادي

أنا من سمحتُ لقلبي بالنبض والركض،

أنا من سمحتُ لخيالي بأن يعشق ذلك الوطن حد التملك

حتى كُسِرت. . .

*****

صراع

لم يعد الأمر مجرد عاصفة ثارت وأخذت معها كل شيء

ولِمَ الحنين يمزقني كما كان سابقًا . . ؟

أصبح الأمر حزينًا جدًا

لم أعد استطيع البوح به، ولا الكتابة عنه

أما كانت تلك عاصفة الحنين التي هدمتني قبل أن أبني نفسي سابقًا؟؟

مازلت مستمرة في صراعي معها . . .

على أمل أن أنتصر في يوم . . وأُلملم شتات أجزائي . . وماتبقى من فتات أضلعي . . .

لازلتُ أعاني ذلك الألم القارس بصمت مؤلم حد الوجع . . .

تمتلء عيناي بدموع أعجز عن تصريفها أو الهروب منها مـن ذلك الوجع . .

أحاول مليًا أخذ جرعة من الهواء لعلي أنـجو من هـذا الألم الذي يمزقني

*****

تركت لله

لانملك من أمرنا شيئًا عندما نعشق . . . قد يتحول الأمر إلى شيء أشبه بسحر يسري في دمكَ . . . لاتشعر به إلا بعد فوات الأوان . . . إلاّ أن السحر تستطيع الشفاء منه بآيات الله وحصنه الحصين . . أما العشق فلا تستطيع الشفاء منه ولا العودة إلى الخلف ربما تملك حق الاعتراض فقط ، وشن ثورات لخلع المعشوق وإعادة حياة الحرية . . . . تفشل الثورات ويعود اعتراضك فاشلاً . . وخطواتك إلى الخلف تكون عاجزة ، ماذا لو قاومت عاصفة لهيبها ! ؟ أوْ لم تستطع المقاومة وسقطت كقطعة بالية من لهيب تلك النار . ! ؟ قد لايكون ملكك . . . وقد لاتبوح بما تشعر . . . وقد تتألم لكن أمرك بيد الله يجبر قلبك ويبرئ جرحكَ . . ويطفئ لهيبك فعندما خلق خالق الكون تلك المشاعر بفوضويتها لم يخلقنا بشيء أكبر من استطاعتنا . . ولا يكلف نفسًا إلا وُسْعها . . . لكن لكل إنسان في العشق ضعف يجتاحه بشراسة يدميه أرضًا

مهما بلغت قوته وتظاهر بـذلك يبقـى داخلـه هـش كزجـاج تحطم أجزاءً صغيرة جدًا لم يعد قادراً على جبره. . . . كـائن من تكون أيها العاشق. . . فلن تسـتطيع إخفـاء هـذا العشـق مطولاً. . . ولا الهروب طويلاً. . . قـدرٌ مكتـوب أن تعشـق وأن تعود وأن تتألم فأنت مسيّر لست مخيّراً. . . اذهب حيثمـا تشـاء فمكانـكَ حيـث كتـب الله. . . . وصـادف مـن تشـاء فقدركَ مع من كتب الله. . . أمّا أنا فقد تركتك لله.

*****

ألم الجمرة

الألم الذي نشعر به ولانستطيع البوح به . . . هو أشبه بجمرة نبتلعها ونبتسم وأحشاؤنا تحترق . . . أما بقية الوقت فيضيع في مجهود أن تخفي ماأحرقته الجمرة، وماتشعر به من ألم وكأن الزمان والمكان اتفقا على أن يختبروا صبر الألم . . . تُرى ماذا كان خلف تلك الابتسامة؟؟ وماذا كان خلف تلك الدموع التي ضلتّ داخل العين ترفض السقوط؟ ماذا كان خلف الأضلع التي كانت تتداخل بين بعضها البعض من شدة الألم؟ ماذا كان في ذلك النبض الذي أصبح ينبض ببطءٍ تدريجي كأنه أوشك على مغادرة الحياة؟ أما حان وقت الأجوبة؟ ربما ليس بعدُ لم يحن الوقت لكشف ستار هذا الألم العالق بين الحنايا، والذي أنهكني كتمانه، فتلك النار قد أكلت أضلعي كما تأكل الحطب . . . رباه أنا لا أملك هذا القلب فهو بين يدكَ فلا تحاسبنى فيما لا أملك .

*****

الخاتمة

وأخيراً أعزائي القراء أوصيكم ونفسي بقوى الله أولاً . . .

وأن تعلقوا قلوبكم بالله ثانيًا . .

كل شيء زائل مهما طال وعـده . . . فالقلوب سميّـتْ قلوبًـا لأنها تتقلب بيد الله . . . فاللهم ثبت قلوبنا على دينك . . .

ولا تُحاسبنا فيما لا نملك . . .

*****

السيرة الذاتية للكاتبة خلود المكي العلوي

مواليد جدة يوم ١٢ مارس عام ١٩٤٨ بدأتُ دراستي الابتدائية والمتوسطة في جدة. ثم أنتقلت إلى الولايات المتحدة لاستكمل دراسة المرحلة الثانوية في مدارس (milton high school Florida) ثم التحقت بجامعة UCF Florida لاستكمال TEFL course لتأهيل نفسي لدراسة الادب الانجليزي في المملكة العربية السعودية بجدة في جامعة الملك عبدالعزيز . . . هواياتي: السفر . . . ركوب الخيل . . . قراءة الشخصيات والتعامل معها.

*****

فهرس المحتويات

إهداء	
مقدمة	
لعنة!!	
صدفة . .	
شعور غريب	
مصافحة مودع	
طيفك وذاكرتي ! !	
فوات الاوان	
اختيار خاطئ	
المرة الأولى	
من يختار ! ؟	
ذاكرة ترفض الرضوخ	
لي الله	
آله الزمن	
ثوران العاصفة	

حلم	
لست لي	
زراعة شعور	
قلمي	
عادة الزمن	
نهاية الطريق	
فصل الخريف	
حُجرة خالية	
وطن مسروق	
صراع	
تركت لله	
ألم الجمرة	
الخاتمة	
السيرة الذاتية للكاتبة خلود المكي العلوي	